سابعاً: إضاءات على أنواع العلوم

١- أنواعُ العلومِ:

❖ من ناحيةِ النفعِ:

قالَ ابنُ القَيِّمِ في بيانِ أنواعِ العلومِ: (نوعٌ تَكْمُلُ النَفْسُ بإدراكِهِ، والعِلمِ بِهِ، وهو العلمُ باللهِ، وأسمائِهِ، وصفاتِهِ، وأفعالِهِ، وكتبِهِ، وأمرِهِ، ونهيِهِ.

ونوعٌ لا يحصلُ للنَّفْسِ به كمالٌ، وهو كلُّ علمٍ لا يَضُرُّ الجهلُ بِهِ، فإنَّه لا ينفعُ العلمُ بها في الآخرةِ.

وكان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم يستعيذُ باللهِ من علمٍ لا ينفعُ، وهذا حالُ أكثرِ العلومِ الصحيحةِ المطابقةِ التي لا يَضُرُّ الجهلُ بها شيئاً، كالعلمِ بالفَلَكِ، ودقائِقِهِ ودرجاتِهِ، وعددِ الكواكبِ ومقاديرِها، والعلمِ بعددِ الجبالِ، وألوانِهَا ومساحتِهَا، ونحوِ ذلك، فشرفُ العلمِ بحسبِ شرفِ معلومِهِ، وشِدَّةِ الحاجةِ إليهِ، وليسَ ذاك إلا العلمُ باللهِ وتوابعُ ذلك)[١].

وقالَ أيضاً: (فما أشدَّها مِن حسْرَةٍ، وما أعظمَهَا من غَبْنَةٍ على من أفْنَى أوقاتَه في طلبِ العلمِ، ثمَّ يخرجُ مِنَ الدُّنيَا، وما فَهِمَ حقائقَ القرآنِ، ولا بَاشرَ قلبَه أسرارُهُ ومعانيه! فاللهُ المسْتَعانُ)[٢].

---

(١) (الفوائد، لابن القيم) (ص١٦٠).

(٢) (بدائع الفوائد، لابن القيم) (١/١٧٣).

❖ مِنْ ناحيةِ الغايةِ والوسيلةِ:

قالَ ابنُ خلدون:

(فأمَّا العلومُ التي هي مقاصدُ، فلا حَرَجَ في توسعةِ الكلامِ فيهَا، وتفريعِ المسائلِ، واستكشافِ الأدلةِ، والأَنْظَارِ، فإنَّ ذلك يزيدُ طالبَهَا تَمَكُّناً في ملكَتِهِ، وإيضاحاً لمعانيهَا المقصودةِ، وأمَّا العلومُ التي هي آلةٌ لغيرِهَا، مثلُ العربيةِ، والمَنْطِقِ، وأمثالِهِمَا؛ فلا يَنْبَغِي أَنْ يُنْظَرَ فيها إلا مِنْ حيثُ هيَ آلةٌ لذلكَ الغيرِ فقط، ولا يُوَسَّعُ فيها الكلامُ، ولا تُفَرَّعُ المسائلُ؛ لأنَّ ذلك يخرُجُ بها عن المقصودِ؛ إذِ المقصودُ منها ما هي آلةٌ لَهُ، لا غيرُ، فكُلَّمَا خرجَتْ عنْ ذلك؛ خرجَتْ عن المقصودِ، وصارَ الاشتغالُ بها لَغْواً، معَ ما فيهِ مِن صعوبةِ الحصولِ على ملكتِهَا، بطولِها، وكثرةِ فروعِهَا، ورُبَّمَا يكونُ ذلك عائِقاً عنْ تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذَّاتِ؛ لطولِ وسائِلِهَا، مع أنَّ شأنَهَا أَهمُّ، والعمرُ يَقْصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ على هذه الصورةِ، فيكونُ الاشتغالُ بهذه العلومِ الآليةِ تضييعاً للعمرِ، وشُغلاً بما لا يُغْنِي)[1].

و(العلومُ المساعدةُ، أو مَا يُسَمِّيهِ بعضُ أهلُ العِلْمِ بعلومِ الآلةِ، كاللُّغَةِ العربيةِ، والبلاغةِ، والأصولِ، والمصطلحِ، وعلومِ القرآنِ، يُطلَبُ منها ما يُحَقِّقُ المقصودَ الأصليَّ، وهو القيامُ بعبادةِ اللهِ تعالَى، التي خُلِقْنَا من أجلِهَا، وإلا دخلَ ذلك في بابِ التَّرَفِ العِلْمِيِّ، واللهُ أعلمُ. فلا يُطلَبُ من طالبِ علمِ النَّحْوِ، أنْ يكونَ كسِيبَوَيهِ، و من طالبِ اللُّغَةِ،

(١) (مقدمة ابن خلدون) (١/٦٢٢).

أن يكونَ كالخليلِ، والأَزهـريِّ، ومـن طالـبِ البلاغـةِ، أن يكـونَ كالجُرْجَانيِّ، يَكْفِيهِ من كلِّ ذلك ما يحتاجُهُ لفَهْمِ القرآنِ والسُّنَّةِ، والقيامِ بما أوجَبَهُ اللهُ عليهِ مِن عبادَتِهِ)[١].

٢- أهميةُ التَّخصُّصِ في فِنٍّ مُعَيَّنٍ:

قالَ الخليلُ بنُ أحمدَ الفَرَاهِيدِيُّ: (إذا أردْتَ أنْ تكونَ عالماً فاقصدْ لفَنٍّ مِن العلمِ، وإنْ أردتَ أن تكونَ أديباً فخذْ منْ كُلِّ شيءٍ أحْسَنَهُ)[٢].

قالَ أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلامٍ: (ما نَاظَرَني رجلٌ قطُّ، وكانَ مفنَّناً في العلومِ إلا غَلَبْتُهُ، ولا نَاظَرَني رجلٌ ذو فَنٍّ واحدٍ إلا غَلَبَني في علمِـهِ ذلكَ)[٣].

وذلك لأنَّ (للعلمِ دقائقَ لا يعرِفُ المُتَفَنِّنُونَ عنـها شـيئاً، أمـا المُتَخَصِّصُونَ فقد خَبَرُوهَا، وقادَتْهُم إلى دقائِقِ الدقائِقِ، فَهُم فقهاءُ العلومِ حقاً، وأَطِبَّاءُ الفُنُونِ صدقاً.

قالَ الحسنُ بنُ محمدٍ الصباحُ الزَعْفَرَانِيُّ تلميذُ الشَّافعيِّ: سمعـتُ الشَّافعيَّ يقولُ: من تعلَّمَ علماً فَلْيُدَقِّقْ، لكيلا يَضِيعَ دقيقُ العلمِ)[٤].

---

(١) (التأصيل في طلب العلم، لبازمول).

(٢) (جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر) (١/٥٢٢).

(٣) (المصدر السابق) (١/٥٢٣).

(٤) (نصائح منهجية، لحاتم العوني، بتصرف) (ص٣٥).